نشوان

الرمز الفني .. والواقع التاريخي

بقلم : علوى عبدالله طاهر

الحق اقول لكم ،أنه لم تلق اية اغنية يمنية رواجا، مثلما لقيته اغنية (نشوان) للفنان محمد مرشد ناجي ،والتي كتب كلماتها الشاعر سلطان الصريمي.

لقد احدثت الاغنية ضجة فنية وادبية معا، وذلك ،بفعل موضوعيتها وجوده ادائها ،ولست مبالغا ان قلت انه لاول مرة في تاريخ الاغنية اليمنية ،تتلقف الجماهير كلمات الاغنية وتناقشها، وتحلل مضمونها ، فهي انموذج للاغنية السياسية الموضوعية ،وأبرز مافي الاغنية أنها ايقظت في المواطن اليمني الاحساس بالظلم الذي تعرض ويتعرض له من قبل الاقطاع والمشايخ، ورموز السلطة الرجعية في شمال الوطن ،وجعلته يبحث عن الرمز الفني الذي من خلاله يعبر عن رفضه للواقع ،وتحديه للصعاب ،واعتزازه بالارض، والبذل والعطاء من أجل الدفاع عن سيادتها. فكان ذلك الرمز هو (نشوان).

فمن هو نشوان ؟ومادلالته؟ وماحقيقته التاريخية ؟ انه ابوسعيد نشوان بن سعيد بن سعد بن عبدالرحمن بن ابى حمير، ينتهي نسبه عند ذي مراثد بن ذي سحر،وهو الذي أشار اليه بقوله:

عند ذي مراثد بن ذي سحر ابوالادواء رحب الساح .

وذومراثد بن القيل ذي سحر، هو الذي خرج من مأرب وقت اخيه الهدهاد بن شرحبيل بن ذي سحر فقسم اليمن بين اولادة ،وبنى نجران وعمران .

كان نشوان ذانفس وثابة طموحة الى المعالى ،لاترضى الابالوصول الى القمة،فكانه كان (يصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء) .فقد جمع بين شرف العلم، وشرف الاعتزاز بالشخصية اليمنية، فلم يكن هادئا مفتبطا بماهو فيه من الكفاية في الفضل والعلم. بل سمت نفسه الى المجد، وان يكون ممن يخلد الدهر اسماءهم، ويعتز باعمالهم. فلبس زي المجاهد القائد ، وخلع زي العالم، فقاد الجند ومشى الى الهيجاء بعزم صادق، ونفس لاترضى الا بركوب الاخطار ، وراء السمو الى المعالى، فبدأ يخوض ميادين القتال ، وينتقل من فوز الى فوز ومن نصر الى نصر، حتى أتيح له أن يحقق بغيته في العزة والكرامة والسيادة والمجد .

ثار على الواقع الاجتماعي المتخلف، والذي تحكمه علاقات اجتماعية سيئة عبرعن ذلك بتوجع في الابيات التالية:

مالى وصحبة قوم لاخلاق لهم
يستحسنون أمورا كلها علل
قد حرت فيهم وفى نفسى وعزتها
فصرت أحير من جعف وماعقلوا
أن أنبسط فيهم أسقط مهابتهم
أياي أو انقبض قالوا به ثقل
وان أناقشهم قالوا به لجج
وان أسامحهم قالوا به خبل
وان أجد باذلا قالوا به سرف
أو أقتصد منفعا قالوا به بخل
أو أستر الفضل قالوا لى به حسد
أو نشر العلم قالوا لى به جدل
وأن تفاضيت قالوا العجز أقعده
وان سطوت لخصم قيل ذا عجل
وان تغابيت قالوا لى به بله
وحيث دققت قالوا ذا به حيل
وحيث أقدمت قالوا لى به هوج
وحيث أحجمت قالوا كل ذا فشل

الى آخر الابيات .. التي تصور تبرمه من واقع الحال. ورفضه لكل العلاقات الاجتماعية غير المتكافئة .

ومن هنا كان نشوان رمزا لرفض الواقع ، في وقت انعدمت فيه القيم الاخلاقية ، وتحكمت فيه الاهواء ، والمصالح .

ومع ذلك لم يكن نشوان باليائس المستسلم، والراضخ بل كان يستشير هم الناس ، ويحثهم على التغيير ، ويستنفر عزائمهم ومن ذلك قوله :

ذهب العمر ليلة بعد يوم
كل يوم يطوي به العمر طيا
واذا أمكنتك فرصة أمر
فاغتنمها قبل التى واللتيا
ليس فى كل ساعة أو اوان
لك فى الامر فرصة تنتهيا
لن ينال العلا من الناس الا
كل ماضى الجنان طلق المحيا
مولع بالمغار فى كل يوم
فهو بين الجنود يقسم فيا
كل من رام بالخمول رشادا
وجد الرشد فى الذي رام غيا
من أحب الحياة مات ذليلا
واحتسى السم قبل ذلك حيا

ولد نشوان في مدينة (حوث) التي تبعد عن صنعاء بمسافة يومين ونصف يوم مشيا على الاقدام . وهي التي أشار اليها بقوله :

بشاطىء حوث من ديار بني حرب
لقلبي أشجان معذبة قلبي

ولم يعرف بالضبط تاريخ مولده ، غير ان وفاته كانت مابين ٥٧٣ هـ ، و٥٧٥هـ، والارجح أنها بعد ذلك، لانه قال في ديباجة كتابه (شمس العلوم) :

« وفي السنة السبعين والخمس تم ماجمعت من التصنيف في رمضان » شهد أواخر الدولة النجاحية في

تهامة، وكذلك دولة بني زريع ، كما شهد في أواخر أيامه الدولة الايوبية في اليمن .

عاصر عددا من الشعراء والادباء في اليمن، أبرزهم المؤرخ الشهير عمارة اليمنى .

كان فقيها، على مذهب المعتزلة ، خرج عن التقاليد والتقليد ونبذ المقلدين، وأحد القائلين بمبدأ الشورى والمدافعين عنه .

تنقل بين حضرموت (م/٥) وبيحان (م/٤) واتصل بعلمائها وحكامها . وفي حضرموت لقي حفاوة وتكريما من حاكمها . ومكث فيها عامين ونصف . ثم عاد الى (مأرب) و (الجوف) .

وتقول بعض المصادر التاريخية أنه أستطاع التغلب على بعض المناطق اليمنية، وبسط حكمه عليها ، حتى انزوى في جبال خولان الشام . حيث احتفظ بمقاطعة هناك .

اشتهر نشوان باعتزازه بالشخصية اليمنية، وكان يفخر بانتسابه لليمن، كما كان في الوقت نفسه حريصا على سيادتها واستقلالها ، ويرفض ان يدنس تربتها أي دخيل، أو ان يبسط نفوذه عليها أي أجنبي . فقد قال في احدى قصائده الشهيرة :

« أو ماعلمت بأنني من معشر
شم الانوف من العديد الاكثر »
« قومي الذين تملكوا وتمكنوا
في الارض قبل تملك الاسكندر »

فكان يتباهى بالشخصية اليمنية ، ويزهو بمجد اليمن ، ويعتز بالحضارة اليمنية . ومن ذلك قوله :

... والضاربون الهام في يوم الوغى
بين الصوارم والقنا المتكسر
والناصبون بكل ربع آية
فيها اعتبار العاقل المتفكر
والناحتون من الجبال مصانعا
والباطشون بقدرة وتجبر .
بعد الفتوح تراه عين المبصر
افخر على من شئت الا حميرا
فدع الفخار لاهله من حمير
قوم اذا غضبوا لم ينتهم
عن مدخل الظلمات قوة معشر
واذا همو نهضوا لحي أصبحت
أوطانهم قفرا كان لم تعمر

ولنشوان بن سعيد الحميري مؤلفات كثيرة ، أشهرها : «شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم» وهو معجم لغوي وموسوعة علمية وكذلك (رسالة الحور العين) وشرحها . وكتاب (التبيان في تفسير القرآن) . وكتاب (أحكام صنعاء وزبيد) . وكتاب «القوافي» وكتاب «الاعتقاد في علم التوحيد» و«رسالة التبصر في الدين» . وله ديوان شعر . كماله مطوله شعرية شهيرة ، مطلعها :

الامر جد ، وهو غير مزاح
فاعمل لنفسك صالحا ياصاح

نشرت في كتاب)ملوك حمير وأقيال اليمن (مع شرحها .

وله مؤلفات أخرى كثيرة لم تطبع .

ذلكم هو نشوان بن سعيد الحميري ، الرمز الفني والواقع التاريخي ، رمز الانسان اليمني الطموح ، والمناضل من أجل تحقيق غاياته في العزة والكرامة والسيادة الوطنية على الارض .. كل الارض اليمنية .

ولئن اراد الاعداء أن يبسطوا نفوذهم على ارض اليمن، ويفقدونها سيادتها . فان الشعب اليمني لهم بالمرصاد . ولئن أراد العدو التاريخي أن يشعل نار الحرب بين اليمنيين ليقتل بعضهم بعضا ، فاننا نقول له ، قولة نشوان الشهيرة:

«فدع التهدد بالحسام جهالة
فحسامك القطاع ليس له يد»
ان لم أمت الا بسيفك انني
لقرير عين بالبقاء مخلد
اسكت فلولا الحلم جائك منطق
لامين فيه يذوب منه الجلمد